الأجيال الجديدة مالها وما عليها

- ولكن حتى الأجيال الجديدة من المخرجين المصريين إستفادت بشكل لافت من مشاهدتها لعروض التجريبي، وقد ظهر ذلك جلياً فى عروض محمد أبو السعود وهانى المتناوى وخالد الصاوى وحتى سعيد سليمان وغيرهم

أولاً هؤلاء ليسوا مخرجين أصلاً، وقد كتبت هذا الرأى وأعلنته لهم وللجميع، فليس لهم رأى أو رؤية ولا رسالة ولا هدف، وأعمالهم مليئة بالأخطاء الأسلوبية والخلط فى الأشكال والمصادر، ومحملة بالأفكار المشينة وطنياً واجتماعياً (راجع مقالاتى فى مجلة الهلال).

أما فى مسرحية (أحلام شقية) تأليف سعد الله ونوس على مسرح الهناجر قدم محمد أبو السعود رؤية منشطرة، حين أحاط العرض بمجموعة من الأيقونات الروسية الأورثوذوكسية القديمة بينما تشغل أسرة مسيحية واحدة فقط، سينوغرافيا العرض كله وهى لم تشكل سوى النصف الآخر للأحداث، بينما المنزل كله ملك ضابط الاستخبارات البعثى المسلم! والنص المسرحى أصلاً يغلب عليه طابع اليأس من الناحية الفكرية، ومن الناحية الشكلية يغلب الطابع الكلامى وليس الدرامي، فيبوح بأهم

معالمه من خلال مونولوجات مطولة – وهذه الآراء ليس لها صلة بالطبع بالمجموعة الممتازة من الممثلين الذين كانوا معه – والعجيب أنهم أنتجوا له عروضاً متلاحقة لوحظ عليها البذخ والإفراط فى الإنتاج إلى حد التدليل والسفه! فمن يكون هذا المدلل الذى يُعطى فرصاً يستحقها غيره من الفنانين الموهوبين الشباب ؟! هذا هو محمد أبو السعود أحد خريجى مدرسة التجريبى التغريبية وأحد تلاميذ حسن الجريتلى وآخرين وأخريات...

- ولكن مجموعة الاسماء التى كنت قد طرحتها مختلفة فى توجهاتها الفنية فمثلا خالد الصاوى يعمل على الكباريه السياسى بينما سعيد سليمان يبحث فى استنطاق الموضوع الشعبى وأشكاله الجديدة ...

خالد الصاوى ممثل كبير محترف مارس الإخراج قبل تخرجه من الجامعة وبعده، ولكنه اكتسب مهارات حرفية اقتنصها من عروض مصرية وأجنبية وأعمال تليفزيونية وسينمائية كثيرة، فالتقطت أعينه ملامح معاصرة لصور من حياة العالم اليوم، إتضحت فى أحد عروضه «اللعب فى الدماغ» فبهر قطاعاً كبيراً من الذين شاهدوه، غير أن رسالة هذا العرض جاءت عكس مقصده، فقد روّع المشاهدين بقوة الإمبريالية وبطشها، مما يؤكد انتصار الولايات المتحدة على الشعوب المهزومة ! إذن فالنصيحة التى أسوقها فى هذا الصدد هى أن المسالة ليست شكلاً ولا إبهاراً ولاحركة، وإنما هى وعى كاشف وفكر عميق ورسالة للمستقبل. ولعل هذا هو السبب فى أن خالد لم يسع

إلى تكـرار التجربـة التـى زعمـوا نجاحهـا.

أمـا سـعيد سـليمان فقد بحثـت فـى عروضـه مطـولاً عـن بصيـص مـن شـعاع، ولم يلامـس حدقـة عينـى سـوى الظـلام. أمـا الدويـرى الصغير فيكفـى أنـه أفسـد رائعـة مـن روائـع بريشـت هـى جاليلو – الـذى عـرف كيـف يتقـى شـر الخصـوم وينتصـر للمعرفـة الإنسـانية والحريـة – هـذا المعنى ضـاع فى دهاليز الحـركات العجيبة التى كان يأتيهـا الممثلـون ويقلـدون ميزانسـين العـروض التـى كانـت تـرد إلينا سـواء فـى التجريبـى أو سـواه، ممـا شـاهده حينما سـافر إلى الخارج.

- إذن أنـت لا تجـد شـيئا إيجابيـا فـى العـروض المسـرحية لهـذا الجيـل ؟!

إنـه جيـل الإنفتـاح الثقافـى وليـس الوعـى الحضـاري، وهو جيل مغلـوب علـى أمـره ثقافيـاً واجتماعيـاً، يذكرنـا بمقولـة العلامـة ابـن خلـدون (إن المغلـوب يميـل إلى تقليـد الغالـب).

- والحل كيف ندخل العصر ؟!

فـى إحـدى زيـارات أحد رؤسـاء هيئـة قصـور الثقافـة إلى العريش فوجـئ سـكرتيره الخـاص بواحـد مـن شـباب العريـش يرتدى سُـترة مكتـوب عليهـا بضـع الحـروف بالعبريـة، ولـما كان هـذا الرجـل قـد حـارب إسـرائيل فـى أكتوبـر وانتصـر، فإنـه رأى فـى هـذا السـلوك علامـة هزيمـة ! لـذا صـرخ فـى وجـه الشـاب المصـرى العريشـى أن يذهـب لمنزلـه ليغـير هـذه السـترة، ولـما رفـض الشـاب المصـرى العريشـى غضـب الرجـل بعنـف، الأمـر الـذى جعـل رئيـس المدينـة

يتدخل لتهدئة الموقف. رأى صاحبنا فى هذه الحروف العبرية علامة هزيمة أو تأكيد لحكمة بن خلدون آنفة الذكر. فهل ذهب أحدنا إلى لندن أو باريس ورأى كلمات بالعربية على صدر مواطن أصلى هناك ؟! إن النزاع الحالى اليوم ليس مجرد نزاع على البترول أو الأرض فقط وإنما هو نزاع، مهما دار ولف وتخفي، هو نزاع حول الهُوية من أنا ؟؟؟ ومن أنت؟؟؟ . فأنا لا أدعو للانغلاق عن العالم الخارجى فيوماً ما قدمت الفرق المسرحية المصرية دون ضغط أو إملاء أو تمويل خارجى أو إغراء من أحد، نصوصاً مسرحية أجنبية إبتداء من (شهداء الغرام لسلامة حجازى) فى مطالع القرن العشرين عن روميو وجولييت، أو حتى أن تخصص فرقة مسرحية كاملة لهذا النوع الأجنبى هى فرقة المسرح العالمى بقيادة الفنان حمدى غيث التى قدمت فى ظروف صعبة نحو ١٣ عرضاً مسرحياً مترجما مهماً، تعتبر جزءاً لا يتجزأ من تاريخ المسرح المصري، بالإضافة إلى أنه سبق لى فى سياق هذا الحوار الإشارة إلى أهمية البعثات إلى مختلف المراكز المسرحية الكبرى فى العالم، ومن قبل استقبلت – مصر والإسكندرية فى مطلع القرن العشرين بل وطنطا وأسيوط عروضاً لمسرحيات وفرق أجنبية ونالت الإعجاب والاستحسان، فاستفادت منها الفرق المسرحية المصرية إلى جانب إنعاش الذائقة المصرية بألوانهم الأجنبية المستحبة وقبل المهرجان التجريبى كانت هناك عروض أجنبية كثيرة تجئ بها كبريات الفرق الأجنبية خاصة الإنجليزية والفرنسية وتقدم لنا أعمالها – وفقا لإتفاقيات التبادل الثقافى بين مصر

والبلاد الأخرى - فضلاً عن إستعانة المسرح المصرى بعدد من الخبراء الأجانب مثل اليونانى (موزينيدس) والألمانى (كورت فيت) والروسى (ليسلى بلاتون) و(كورت زايفرت) فى مجال الميزانسين الاستعراضي، فلست ضد الانفتاح الفكرى والتعاون الفنى والثقافى مع كافة فنون شعوب العالم فقط، أنا ضد الذيلية والتقليد من جهة، وضد كبح جماح الإبداع القومى المصرى مطالباً بمساندته وتحريره وتأكيد هُويته وحريته.

وما رأيك فى العروض التى تستلهم التراث المصرى-سواء الثقافى او الفلكلورى- بتقنيات أوربية؟

لاحظت مثلاً على انتصار عبد الفتاح منذ بداياته أنه يطرح مزاعم تسمى المسرح الصوتي، والعجيب أن أحداً لم ينتبه إلى المفارقة المضحكة التى تحملها هذه التسمية فلا يوجد مسرح نراه بالأذن ! كما لا يوجد مسرح نسمعه بالعين ! ! غير أن هناك حقائق لابد من الإقرار بها، أن انتصار له خبرات خاصة وذائقة متميزة تتعلق بالأصوات والمؤثرات، واستخدام بعض القطع (المصوتة) كما أن لديه قدرة على إصدار بعض الأصوات الأشبه بالمؤثرات الصوتية التى تتدخل فى التشكيل المسرحى، وهو أيضا يملك قدرات فى الاستماع المتنوع لألوان الأداء الموسيقى والصوتى المختلفة، والتدريب على ألوان الغناء الجماعى والفردى من بيئات عديدة، وقد ظهر ذلك جليا فى عرضه الأخير والذى قدم فى إحدى فضاءات قصر الأمير طاز، حين إستفاد من الشريط الصوتى الذى كان سجله الخبير

اليوغسلافى (تيبيريو) فى الستينيات، فى مواضع وأماكن مختلفة ومنحدر وبادية وريف وأحياء شعبية، فقام انتصار بترديدها مع المجموعات المختلفة فى فريق العرض المسرحى بدقة متناهية، ثم إستعار الصورة أو الصور البصرية من وجوه الفيوم الأمر الذى يظهر دقته ومهارته على نحو خاص، سواء فى التصميم أو التنفيذ أو التدريب، وأرى أنه لوظل على هذه الوتيره لأصبح الأمر كله أمراً شكلياً وبلا معنى، آى مجرد ترديد لتركيبات صوتية أو تكوينات بصرية وحسب. أما الرسالة والمعنى والهدف والجدوى من عروضه كلها، كما لاحظت، غير موجودة ولا تخطر على باله رغم مجهوده الكبير، لأنه ليس فى ذهنه أمران هامان: أنه ينتج لجمهور وهو ملزم إزائه برد الدين له، حيث إن هذا الجمهور هو صاحب الحق والمالك الأصلى للعرض المسرحي، الأمر الثانى أنه لا ينفق من جيبه الخاص على هواه، إنما ينفق من جيوب دافع الضرائب وميزانية الدولة المأخوذة من الإيراد العام للدولة وهو جزء من ثروة البلاد. إن انتصار رغم كفاءتة ومجهوده واجتهاده، إلا انه لم يع هذا الدرس المتكرر فى كل عروضه، فحين زعم مشروعٍ العربة الشعبية لم يصنع بها شيئا ولم يعرض من خلالها فناً ولا فكراً، إنما كانت عربة أشبه بعربة (الكشرى) حيث وقف أمامها بعض المؤدين لا صلة بين هذا الكيان المادي، وبين ما يؤدونه وبين الجمهور من جهة ثالثة، وهكذا يهدر انتصار عبد الفتاح قدراته وطاقته فيما لايجدى، بسبب شغفه بالمزاعم المزيفة.. مثل المسرح الصوتى والمسرح البولفونى .... الخ ...الخ.